ويؤذن بالتهاون بالمنادى ولم يقل يا ارض بالكسر تخصيصا
للاضافة المؤذنة بالتشريف تأكيدا للتهاون ولم يقل
يا ايتها الارض للاختصار مع الاحتراز عما في ايتها من
تكليف التنبيه غير المناسب للمقام واختير لفظ الارض
دون سائر اسمائها لكونه اخف وادور واختير ابلعي
على ابتلعي لكونه اخصر ولمجيء حسن التجانس بينه وبين
اقلعي واوثر لفظ ماءك بالافراد دون الجمع لما في الجمع من
الاستكثار المتأبى عنه مقام الكبرياء وهو الوجه في افراد
الارض والسماء ولم يذكر مفعول ابلعي لئلا يفهم ما
ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار
وغيرها نظرا الى مقام ورود الامر الذي هو مقام عظمة
وكبرياء اذ تبين المراد اختصر الكلام مع اقلعي ولم يقل
اقلعي عن ارسال الماء احترازا عن الحشو المستغنى
عنه من حيثية الظاهر وهو الوجه في ان لم يقل وقيل
يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء اقلعي فاقلعت
واختير غيض على غيض بتشديد الياء لكونه اخصر واخف
واوفق لقيل وقيل الماء دون ان يقال ماء طوفان السماء
وكذلك الامر دون ان يقال امر نوح للاختصار ولم يقل
ولم يقل سويت على الجودي بمعنى اقرت على نحو
قيل وغيض وقضي في البناء اعتبارا بنا الفعل للمجهول
على مع السفينة في قوله تعالى وهي تجري بهم مع قصد
الاختصار ثم قيل بعدا للقوم الظالمين دون ان يقال ليبعد
القوم الظالمون طلبا للتأكيد مع الاختصار وهو نزول
بعدا منزلة ليبعد وابعد مع افادة اخرى وهو
استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى البعد حق لهم ثم

اطلق

اطلق الظلم لينتظم كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم انفسهم
بتكذيبهم الرسل هذا بالنظر الى كل كلمة من كلماتها
واما بالنظر الى ترتيب جملها فاعلم انه قدم النداء
على الامر فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي دون ان يقول
ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء جريا على مقتضى اللازم
فيمن كان مأمورا حقيقة ليتمكن الامر الوارد عقيب
في نفس المنادى ثم قدم امر الارض على امر السماء لابتداء
الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة منزلة الاصل ثم
اتبعها بقوله عز وجل وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء
ثم اتبعهم بما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الامر
اي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في
السفينة ثم اتبعهم حديث السفينة ثم ختمت القصة
بما ختمت والنظر الذي هو من جهة علم الفصاحة فاعلم ان
الفصاحة في قسمين معنوية ولفظية فالمعنوية هي ما ترى
من نظم المعاني اللطيفة ولاح بتحلها ملخصة مبينة
لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطرف
عن المرتاد بل الفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق
الفاظها واللفظية هي كما ترى عربية مستعملة جارية
على قوانين اللغة سليمة من التنافر بعيدة من البشاعة
عذبة من البراية سلسة على الاسلات كل منها كالماء
في السلاسة والعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة وبالله
التوفيق وهذا القدر كاف فلنرجع الى بيت الناظم وفيه
من البديع المطابقة وهي قوله ذل وعز والتجنيس وهو
قوله النظار والنظير والتمثيل وهو ذال ذي ذال وعزة عز
والتسجيع وهو قوله البدل والعضل والعدل والنشر المعهود

Copyright © King Saud University